

خطاب جلالة الملك
أمام الهيآت المنتخبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

معشر السادة:

قررنا أولا أن نجمعكم وثانياً أن نجتمع بكم حتى نبين لكم الأهداف القريبة والبعيدة للعملية التي ننوي القيام بها، وحتى نبين لكم الدواعي الوطنية والانسانية والاقتصادية التي دفعتنا إلى أن نخطو هذه الخطوة، ونسلك هذا السبيل، رغم ما من شأنه أن يعترض أعمالنا جميعاً — رغم صحة نيتنا وتصافي طويتنا — من مصاعب ومشاكل وعراقل ليست هي وليدة اعمالنا، ولكنها ربما تكون وليدة الظروف والملابسات، ووليدة الحاجيات والاحتياجات التي نحن فيها، وقد تذاكر معكم وزراؤنا هذا الصباح وفسروا لكم ما هو مغزى عملية الدخول الفلاحي التي ننوي القيام بها، وكما تعلمون لا أعز عندي من الحوار المباشر، للمذاكرة مع الناس والمناقشة.

كان في الامكان أن نرسل مناشير إلى العمالات، ونرسل الوزراء بأنفسهم إلى العمالات ليوجهوا نداءات بالتلفزيون وبالراديو ولكن كنت دائماً أعتقد ومازلت أعتقد أن العنصر البشري وأن الحساسية الجدية المغناطيسية التي تنبثق عن اجتماع مثل هذا كل ذلك من شأنه أن يفتح أبواب العقول وينير الأفكار.

لسنا في حاجة إلى أن نبين لكم عملية الدخول الفلاحي، عرفتموها وتفهمتموها بل تكلم البعض منكم — نزولا عند رغبتنا — هذا الصباح، وعرض بإسم الجميع، المشاكل التي يمكن لها أن تعترضها والمطالب التي يعتقد أن هذه العملية تنجح بتلبيتها، هذا ولسنا نعتقد أن كل عمل بشري يمكن له أن ينجح دائماً، وفي أول مرة مئة في المئة، ولكن أملي في الشعب المغربي العزيز المتبصر الحكيم، أملي في الفلاحين الذين يعرفون الأرض ويحبونها، أملي في المغاربة الذين كانوا دائماً مطبوعين على حب بعضهم البعض، أن النجاح النسبي البشري الذي سيبلغونه سيكون نجاحاً مشرفاً للمغرب، مشرفاً لفلاحيه، مشرفاً لأساتذته، مشرفاً لاطره الادارية، مشرفاً لحكومته، مشرفاً لملكه، وهذا ما يجعلنا نخرج من النطاق الفلاحي والتقني إلى النطاق السياسي.

هناك بعض الدول أنظمتها كلها مرتكزة على الحزب الوحيد، ذلك الحزب الذي تتكون فيه الأطر المسيرة للبلاد والأطر السياسية والأطر النقابية، ويكون رئيس الدولة هو في غالب الأحيان الكاتب العام أو الرئيس لهذا الحزب وفي كل دار دار، وداخل كل بيت بيت، لا يتكلم الناس ولا يتحدثون ولا يفكرون ولا يقرأون ولا يغنون أو لا يرددون من الشعارات إلا الشيء الذي قال لهم ذلك الاطار الذي هو إطار من حديد، إطار الحزب الوحيد، إلا أن المغرب من طبيعته بلاد حرة، ما معنى حرة؟ بلاد تميز بين الحلال والحرام وأخذت على نفسها أنها تركب طريق الحلال وتجتنب طريق الحرام، الشيء الذي جعل سكانها دائما كيفما كانت الخلية الاجتماعية التي ينتمون إليها يدعون بالاحرار، ولكن المغاربة وضعوا بأنفسهم لحريتهم اطاراً، وضعوا لها حدوداً وهي حدود الاسلام، حدود الشريعة، حدود المواطنة، حدود المحبة للغير، لذلك من الممكن أن يتساءل البعض كيف يمكن لعملية مثل هذه أن تنجح في بلاد تتوفر على عدة أحزاب ونقابات؟ إن كل شيء يتمشى بكيفية

عسكرية تقريباً، ومن أجل أن تنجح عملية مثل هذه يلزم أن لا تكون هناك حرية الصحافة وحرية التجمع وحرية الرأي، بل يتحتم على كل واحد أن يتمشى في الطريق، أنا أعتقد أن مثل هذه الطريقة ستمسخ العبقرية المغربية.

ولكن التجاوب والتفهم والمحبة والاطمئنان، هذه كلها عوامل تسمح بالسير في الطريق الصالحة، والتمييز بين الصالح والطالح الشيء الذي جعل ملوك هذه الدولة — ولله الحمد رغم أنهم في تاريخهم اضطرزا بعض المرات إلى معاقبة الناس، واضطروا بعض المرات أن يقطعوا الرؤوس، واضطروا بعض المرات أن يسجنوا — لم يكونوا أبداً يسمون دكتاتوريين، لأنهم ما مسوا وما عاقبوا إلا الخبثاء، وهذا ما جعل الناس العقلاء يحترمونهم ويحبونهم ويرون فيهم الرعاة لتلك الحقوق، ولتلك الحرية، والرعاة لأولائك الذين يريدون أن لا يقولوا شعارات واحدة، وأن لا يفكروا تفكيراً واحداً، لهذا سيقدم المغرب مرة أخرى تجربة فريدة من نوعها، تجربة جماعية وتجربة الفكر وحرية الآراء.

لهذا نطلب من كل واحد منكم أن يتمعن ويفهم بالتقريب، هل هناك جيش سنأمره بالذهاب إلى الحرب من دون أن نسهر على تدريبه كما يتدرب أي جيش؟ سنتركه يتحاكم إلى ضميره ووطنيته وحميته التي تسيره، وتحثه على الحركة والنظام، وسنرشده إلى الشيء الذي يطمح إليه دائماً وهو تحقيق تلك الاشتراكية المغربية التي ترمي إلى أننا نصير الفقير غنياً ولا نجعل الأغنياء فقراء.

عبقريتنا الخاصة ولباسنا السياسي والاجتماعي الخاص هو الذي سيجعلنا في آخر هذه العملية نكون قد قمنا بما يسمى (التويزة) ولكن (بتويزة) خاصة لا يقوم بها الناس رغماً عنهم، ويقوم بها الفقراء في سبيل بعض الاقطاعيين، بل ستكون (تويزة) عن طيب خاطر في سبيل الفقراء، فإذا شئتم فإن هذا تقريباً رهان، نريد أن نربح جميعاً، ونستعد للربح جميعاً، وأكون مسروراً عندما نربح جميعاً وسنعيد العملية في شكل آخر، ولكن عندي اليقين أننا سننجح إذا نحن تفهمنا وفهم بعضنا البعض.

قال لكم وزير الداخلية ووزير الفلاحة هذا الصباح أن عملية الدخول الفلاحي سترتكز على عوامل كثيرة، أولا على المكاتب الجهوية التي هي للإستثمار الفلاحي، وعلى موظفي الأطر التابعة لوزارة الداخلية، وسترتكز على جميع الوسائل التي بيدنا من ماشية للحرث ومن جرارات وسترتكز على بعض الناس الذين لهم الوسائل، وبعض الخواص الذين عندهم وسائل فلاحية يضعونها رهن اشارة الناس الذين لا يتوفرون عليها، أعتقد أن هذا لازم فلقد قال لكم الوزراء هذا الصباح : إذهبوا إلى النتيجة الحتمية، إن هذه البلاد كجميع البلاد في العالم لا يمكن لها أن يكون عندها مستقبل، ولا يمكن أن تكون عندها انطلاقة اقتصادية، إلا إذا كانت فلاحتها مرتكزة على أسس متينة، فمثلا انكببت على دراسة ملف، نعطيكم مثالا على ملف عمالة تطوان فقد وجدت أعمالا كثيرة انجزت في عمالة تطوان وفي عمالة الشمال فقد بنينا بها طرقاً ومحلات سياحية وبعض المصانع الصغيرة، ولكن المهم هو مشروع سد واد لكوس.

وما دمنا لم ننهض بالفلاحة في 28 ألف هكتار فإن عمالة تطوان رغم ما سنقوم به فيها، وكذا إقليم الشمال لن تكون عنده أية قوة شرائية، فالسياح الذين يفدون على سمير[1] والحسيمة، من يقوم بخدمتهم؟ إنهم عمال المقاهي وأرباب الصناعة التقليدية، ودخل السياحة بكيفية عامة، لا يبرز للعيان، إنه يظهر من ناحية العملة الصعبة في خزينة الدولة في الأخير، ولكن على الصعيد الوطني لا يظهر دخل السياحة في العمال، فلهذا، كل انبثاقة، وكل انطلاقه وكل نمو في هذه البلاد وبالأخص في المغرب، مبني على الانطلاقة الفلاحية.

---

(1) يسميه الاسبانيون ريستينكا Restinga

نعطيكم مثالا نعطيكم أرقاماً ليست لنا ولا لأحصائي المغرب، بل هي للبنك الدولي، المغرب يمكن له أن يسقي مليوناً من الهكتارات منها مسقية الآن 150 ألف هكتار فقط، مليون هكتار يمكن لها أن تسقى بالسدود، يمكن للمغرب أن يتوفر على الاكتفاء الذاتي ويقولون الاكتفاء الذاتي هو الشيء الذي يمكننا أن نستهلكه سنوياً، المغرب يمكن له بالرغم من أنه يتوفر على عشرين مليوناً من السكان أن يكتفي بـ 300 ألف هكتار.. إذن كم تبقى لنا؟ 700 ألف هكتار فيما لا نستهلكه وما يمكن لنا تصديره إلى الخارج وما يمكن لنا بيعه، وما يمكن لنا به تغذية البشر كل سنة فهو يتزايد، وهكذا سيمكن للمغرب في منطقة افريقيا الغربية وافريقيا الشمالية وفي جنوب البحر الأبيض المتوسط أن يرفع خزينة الأغذية، لأن الهكتارات التي سقاها، لن يستهلك منها إلا 300 ألف أو 400 ألف فقط، وما تبقى يمكن له أن يبيعه للخارج، فإذا وضعنا أمامنا مليون هكتار، وهذا ليس حلما، وأطلب من كل واحد منكم أن ينظر إلى الأرقام أمامه فإذا رأينا مليون هكتار مسقية ورأينا 600 ألف هكتار تصدر منتوجاتها إلى الخارج فماذا يمكن أن نرى؟ إننا سنشاهد مدارس ومعامل ومستشفيات، ومالا وخيراً ورفاهية، وهذا ــ ولله الحمد ــ كله قائم على كواهلنا جميعاً، الدولة عليها أن تخطط المشاريع، وتختار الاسبقيات وتقرر بأن هذا المشروع سيتم، ولكن السواعد، وليست سواعدنا وسواعدكم، ولكن سواعد كافة 14 مليوناً من السكان.

وإذا لم يكن القلب مؤمناً، وإذا لم يكن الدماغ مقتنعاً، فإن الذراع لا تعمل، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إنما الأعمال بالنيات﴾، فإذا كنا ننوي أن سواعدنا ستخدم بدون اتكال، فإننا سنواصل العمل بدون كلل ولا فتور، وحتى لو كانت هنالك صعوبات، فإن جميع التضحيات التي نتحملها سوف تكون تضحيات منتجة، وهذا ليس من قبيل المعجزات لأن المعجزات لم تعد موجودة في وقتنا الراهن، وكما تعلمون فإن المعجزات خاصة بالأنبياء فقط، والنبي صلى الله عليه وسلم كان خاتم الأنبياء ولكن من باب الكرامات المحققة، أن بلادنا فيها مليون هكتار يمكن لها أن تسقى وفيها 14 مليوناً من السكان الطيبين الأحرار العاملين وفيها سواعد، وفيها أدمغة، وفيها قلوب وفيها وطنية، فـ 300 ألف هكتار نستهلكها، و600 أو 700 نصدر منتوجاتها أي نبيعها ونبدل بها معامل، ومصانع، وتجهيزات، ولكن علينا أن نشرع في العمل ريثما تتحقق المشاريع، فعلى الأقل يجب أن نقوم بما هو بين أيدينا الآن، ففي بعض الأراضي سينزل المطر إن شاء الله، ونطلب الله أن تكون هذه السنة سنة خير.

فالذي عنده محراث الخشب لا يمكنه المرور الآن، بل سينتظر نزول المطر ولكن الذي عنده محراث الحديد والذي عنده الجرارات، حتى ولو كانت الأرض قاسية فإنه سيحرثها، وتشم الهواء أولا، وسيعيد تقليبها مرة ثانية وسيمكن له أن يزرع فيها ريثما ينزل المطر، والقليل منا يتوفر على الجرارات الحديدية، قليل من الفلاحين المغاربة، وقليل من الدولة، والكثير مع الأسف لا يتوفر إلا على (الزويجة) التي تكون في الغالب عرجاء متركبة من حمار في جهة، وجمل في جهة أخرى، فيكون الخط معوجاً، والأرض إما أن تكون في ارتفاع أو انحدار ولا يترك الأرض ترتاح عاماً وتعمل عاماً آخر لأنه لا يتوفر على الأرض الكافية، فتكون الأرض المسكينة تتهالك كل سنة ولا تحرث حرثاً جيدا حتى لو نزل المطر، فربما يكون قد فات الأوان، فلهذا نطلب منكم جميعاً أن تفكروا وتدركوا أنه إذا نحن منحنا المحراث والجرارات لجميع الأراضي التي قدمنا وغضضنا الطرف، فإن كل واحد يعرف حده، وكل واحد يعرف أرضه، وكل واحد مطمئن ولله الحمد على أرضه وعلى ملكيتها، وكان يمكن أول الاستقلال، لما كانت أوضاع الادارة المغربية لم تتوطد بعد، كان يمكن للبعض منا أن يتخوف من عملية الحرث، ويقول لعلهم سيأخذون قطعة من أرضي، أو سينزعون مني بعض الأمتار، ولكن ولله الحمد

اليوم وقع اطمئنان للجميع، كل واحد يعرف أرضه، وهو مطمئن عليها إما برسم من مصلحة المحافظة العقارية أو برسم عدلي، هذه المسألة معروفة، فما بقي عليكم إلا أن تفكروا تماماً في أنه لا يمكن لنا أن نمس أرضكم أو ملكيتكم، ينبغي لكل من له آلة حرث حديدية أن يواصل بها عمله حتى يصل، سواء في الحجر أو الطريق أو الجبل، فإذا نحن قمنا بهذا فسنكون أولا من الناحية الاقتصادية والفلاحية في الغالب قد ضاعفنا الانتاج مرتين أو ثلاث مرات، ثانياً سنكون أكثر من هذا وأعظم قد دربنا أنفسنا على أننا لن نرى أرضنا ضائعة وغير محروثة، وثالثاً سنكون قد أعطينا مثالا لجميع الدول المتخلفة أو الدول التي هي في طريق النمو على أن الجهاد الحقيقي هو هذا، على أن العمل الذي يتطلب السهر اليومي هو هذا، وان الشجاعة هي حل المشاكل البعيدة النفس وليست هي حل المشاكل القريبة النفس.

[وقد كانت عند وزير التعليم اجتماعات في الرباط مع الممثلين الاقليميين والاداريين لوزارته، إنه يريد منهم أن يشاركونا هذه المذاكرة وذلك لأسباب متعددة منها التجاوب القائم بين الفلاحة وبين الأساتذة، لهذا أردنا أن نفهم جميعاً أن الخبز الذي نأكله جميعاً والدقيق الذي نطحنه يأكله كذلك أولاد الفلاحين وأولاد الأساتذة، وينبغي لنا أن نقول لهم ان الأساتذة ورجال التعليم يوجد منهم 50 ألفاً في المغرب، وهم الذين يلزمهم أن يطبقوا برنامجنا في التعميم والتعريب والمغربة والتوحيد، ولكن في إطار الحقيقة المغربية لا يلزم كل شخص أن يبلغ مستوى الباكالوريا أو أن يصير طبيباً، حتى ولو كان طبيباً لا يناله من المهارة سوى هذا الاسم، ولكن إذا كان البعض من تلاميذكم لهم ميول فلاحية، ونبوغ في هذا الباب، وإذا فهمتم أنهم لا ينفرون من خدمة الأرض، فساعدوهم على ذلك، لأن خدمة الأرض ضرورية لضمان المعاش، وإذا لم يكن هنالك فلاحون يحرثون الأرض، فماذا عسانا أن نجد من مأكولات؟.

فتعميم التعليم ومغربة التعليم وتوحيد التعليم وتعريبه معناه انطباق على الواقع المغربي الذي يقتضي سواعد كذلك، فلهذا أهيب برجال التعليم أن يفهموا المعنى والمغزى الحقيقي والعميق من هذا الاجتماع ليوجهوا تلاميذهم الوجهة الصالحة، وجهة العمل الفلاحي وتكوين الاطارات الصغرى والمتوسطة والكبرى.]

إنني أعرف بعض العمال المشتغلين في الكهرباء أو الماء أو المحركات وهم يربحون أكثر من الموظفين الحاملين لشهادة الليسانس. وأعرف بعض الفلاحين الذين في هكتار واحد من الطماطم يربحون أكثر من مليون، وأعرف بعض الناس الذين عندهم العبقرية عندهم التفكير الخاص الذي جعلهم يفهمون في الحين ما يلزم القيام به، فرجال التعليم يجب عليهم أن يطبقوا المبادىء الأربعة على الواقع المغربي، ويحببوا الأرض لأبناء المغرب لا أن يقولوا للطالب: إذا لم تكن على كرسي الجامعة فأنت رجل غير صالح تماماً، لأن الأرض في حاجة لكل شيء، فلا بد لها من الفلاحين والصناع والعمال، وأنا أفضل فلاحاً ماهراً على مثقف خارج عن الطريق، وبائع قلبه ودماغه للأجنبي.. كذلك اجتماع أهل التعليم فنحن نوحد تقريباً بين عمليتين.

وكما تعلمون هيأة الأمم المتحدة لها فرعان:

فرع للتثقيف وهي اليونسكو، وفرع للتغذية وهي (الفاو) المنظمة الأممية للتغذية والزراعة، والمغرب بما أنه دائماً يحمل طابع الابتكار فإني أريد أن التغذية مهمة للناس وفي اليونسكو، وهي تغذية الفكر. والبطن العامر بلا عقل الانسان يصيره حيواناً، والفكر العامر مع البطن الفارغة يصير الانسان حيواناً والفكر العامر مع البطن الفارغة بين الفكر وبين الحاجيات البدنية وخير كلام أقوله لكم ان بعض الاعتبارات التي فسرها لكم الوزراء هذا الصباح، وبعض الأسباب التي أدليت لكم بها، من بعد ما عرضت عليكم بعض الأفكار، هي أن تدركوا



بعض عناصر التفكير بعدما أعطيتكم أرقاماً وبعدما شرحت لكم ماذا ينتظرنا من مستقبل زاهر، أقول لكم بأن الأرقام ليست مكذوبة بل هي أرقام صحيحة، يتحتم على كل واحد منا عندما يخلو إلى نفسه ليلا، أن يفكر في مليون هكتار سقوية، والآن ولله الحمد عندنا 150 ألف هكتار فقط ورغم أن سنتين من الجفاف مرتا، فنحن نحمد الله ونشكره على عدم ظهور الجوع في المغرب كما كان يلوح في بعض الدول الأخرى.

هل تعرفون ماذا ترتب عن سنتين اثنتين من الجفاف؟ إن 300 مليار أصبحت غير مروجة في المغرب نعم 300 مليار بنسبة 150 مليار في السنة. وكان الفلاحون مع الجزارين والبقالة وتجار الشاي مع أصحاب النفط، وأرباب السيارات، والمعاملات التجارية تمثل 150 ملياراً في السنة لم يتم ترويجها، ومع ذلك أخذت الدولة ولله الحمد على عاتقها وعلى كاهلها أنها تشتري للناس مواد تغذيتهم حتى لا يشعر أحد بأن هناك جفافاً وحتى يمكن لها أن تحمل ما تستطيع تحمله لأن أركان الدولة ثابتة — ولله الحمد — والنظام والحمد لله موجود في البلاد، والاستقرار وطيد وأحسن من هذا، الوعي الوطني قائم في 14 مليوناً من السكان، مليون من الهكتارات كل واحد منكم ينام ليلا يرى أن عندنا 150 ألفا فقط وأنه بقي عندنا 850 ألف هكتاراً في حاجة إلى السقي وحتى لو كنا 20 مليوناً من الأشخاص، فنحن لا نستهلك إلا 300 ألف أو 400 ألف هكتار على أكثر تقدير، وستفضل لنا 600 أو 700 ألف هكتار يمكن ترويج منتوجاتها بما يعود علينا بالخير والبركات: مدارس، مستشفيات، طرق، معامل، مختبرات، شبكات سلكية ولا سلكية، رفاهية وخير.

اللهم اجعلنا في مستوى ما أعطيتنا من خير، فقد حبوتنا ببلد طيب وأرض خصبة وشعب عزيز كريم، اللهم اجعلنا في مستوى ما أعطيتنا، واجعلنا دائماً عارفين لنعمتك حتى يمكننا أن نحمدك صباح مساء ونطلب منك المعونة ونطلب منك أن تسير بنا في طريق الرشاد وأن تجعل هذا البلد آمناً من كل خطر مطمئناً في داخله سليماً في جوارحه سالماً من أعضائه سالماً ممن يتربص به الدوائر، اللهم اجمع كلمتنا على الخير ووحد قلوبنا ووحد صفوفنا، والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بطنجة

الاثنين 13 جمادى الثانية 1387 — 18 شتنبر 1967